الدرس الثالث

بسم الله الرحمـن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد ..

قال:[خامساً: مما يستفاد من الحديث : قوله « قال: يا محمد أخبرني عن الإسلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً » أجاب النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عندما سأله عن الإسلام بالأمور الظاهرة ، وعندما سأله عن الإيمان أجابه بالأمور الباطنة ، ولفظا الإسلام والإيمان من الألفاظ التي إذا جُمع بينها في الذكر فرق بينها في المعنى ، وقد اجتمعا هنا ففُسر الإسلام بالأمور الظاهرة ، وهي مناسبة لمعنى الإسلام ، وهو الاستسلام والانقياد لله تعالى ، وفُسر الإيمان بالأمور الباطنة وهي المناسبة لمعناه وهو التصديق والإقرار ، وإذا أفرد أحدهما عن الآخر شمل المعنيين جميعاً . الأمور الظاهرة والباطنة . ، ومن مجيء الإسلام مفرداً قوله الله عز وجل ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِين ﴾ ومن مجيء الإيمان مفرداً قول الله عز وجل ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَ هُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِين ﴾ ، ونظير ذلك كلمتا الفقير والمسكين ، والبر والتقوى وغير ذلك].

الشرح..

هذا الحديث حديث عظيم حوى الدين بمراتبه ، وبيَّن عليه الصلاة والسلام كل مرتبة من مراتب الدين ببيانٍ شافٍ وإيضاحٍ وافٍ بألفاظ موجزة وعبارات مختصرة أتت على الخير كله ، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

وهذا الحديث سأل فيه جبريل النبي عليه الصلاة والسلام عن الإسلام وسأله عن الإيمان ؛ فقال صلى الله عليه وسلم في بيان معنى الإسلام « أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله وتقيمَ الصلاة وتؤتيَ الزكاة

وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً » ،

وقال في بيان معنى الإيمان « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأن تؤمن بالقدر خيره وشره » ، وعندما تتأمل في التعريفين للإسلام والإيمان تجد أن النبي عليه الصلاة والسلام فسر الإسلام بالأعمال الظاهرة ، الشهادتان والصلاة والصيام والزكاة والحج ؛ هذه كلها أعمال ظاهرة يقوم بها العبد ؛ ففسر النبي عليه الصلاة والسلام الإسلام بالأعمال الظاهرة ، وفسر الإيمان بالعقائد الباطنة التي مكانها القلب ؛ قال « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره » ؛ وجميع هذه الست عقائد مكانها القلب ، ففسر النبي عليه الصلاة والسلام الإسلام بالأعمال الظاهرة وفسر الإيمان بالعقائد الباطنة التي مكانها القلب ؛ وبهذا تستفيد فائدة عظيمة في بيان الفرق بين الإسلام والإيمان ؛ أن الإسلام والإيمان إذا اجتمعا معاً في الذِّكر – أي ذُكرا في نص واحد– فالمراد بالإسلام الأعمال الظاهرة والمراد بالإيمان عقائد الدين الباطنة ، وهذا موافق تمام الموافقة لمعنى هذين اللفظين ؛ لأن الإسلام من الاستسلام والإذعان ؛ فتفسيره بالأعمال الظاهرة موافق لذلك ، والإيمان من التصديق والإقرار فتفسيره بالعقائد الباطنة أيضاً موافق لذلك .

فالإسلام والإيمان لفظان إذا ذُكرا معًا في نص واحد فُسر الإسلامُ بالأعمال الظاهرة وفُسر الإيمانُ بالعقائد الباطنة ، وإذا ذُكر كل واحد منهما مفرداً ولم يُذكر معه الآخر شمل معنى الآخر، فمثلاً عندما تقرأ ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسلَام ﴾، وعندما تقرأ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنهُ ﴾، عندما تقرأ ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا ﴾ ، وعندما تقرأ ﴿ ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّة ﴾ يعني في الإسلام ؛ هنا ذكر الإسلام مفرداً فلم يذكر الإيمان معه ؛ ففي هذه الحالة إذا ذُكر الإسلام مفردًا يشمل الدين كله ؛ فيشمل الأعمال التي تكون في القلوب ويشمل الأعمال التي تكون بالجوارح ،

وهكذا قُل في الإيمان ؛ فإذا ذكر مفرداً فإنه يشمل معناه الخاص به وهو العقائد ، ويشمل أيضاً الأعمال الظاهرة ؛ فمثلاً قول الله جل وعلا ﴿ إِنَّمَا المؤمِنُونَ الَّذينَ آمَنُوا بِاللهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتابُوا ﴾ ، ﴿ إِنَّمَا المؤمِنُونَ الَّذينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُم ﴾ ؛ ذُكر الإيمان مفرداً فيتناول الدين كله عقيدةً وعبادةً .

وهذا مبني على قاعدة قرَّرها أهل العلم وهي أن من الأسماء ما يكون شاملاً لمسميات

متعددة عند إفراده وإطلاقه ؛ فإذا قُرن ذلك الاسم بغيره صار دالاً على بعض تلك المسميات والاسم المقرون به دال على باقيها . وهذا ليس خاصاً بالإسلام والإيمان ؛ بل بألفاظ عديدة شرعية منها ما مرَّ معنا الإشارة إليه مثل البر والتقوى ، والفقير والمسكين ، ونحو ذلك من الألفاظ ، فمن شأن هذه الألفاظ أنها إذا ذُكر أحدها مفرداً عن الآخر شمل معنى الآخر وإذا ذُكرا معاً استقل كل واحد منهما بمعنى خاص ، وبهذا ينبغي أنْ تعلم أنَّ لفظ الإسلام والإيمان من حيث ورودُه في النصوص الشرعية تارةً يأتي ذكرهما معاً في النص الواحد مثل حديث جبريل ، ومثل قول الله تعالى ﴿ إِنَّ المُسْلِمِينَ وَ المُسْلِمَاتِ وَ المُؤمِنِينَ وَ المُؤمِنَات ﴾، ومثل قوله تعالى ﴿ قَالتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ ؛ فمثل هذه النصوص يأتي فيها ذكر الإيمان والإسلام معاً ، هذه حالة .

الحالة الثانية أن يأتي ذكر الإيمان مفرداً ، وسبق أن أشرت إلى بعض الآيات الَّتي يأتي بها ذكر الإيمان مفردًا .

والحالة الثالثة أن يأتي ذِكر الإسلام مفرداً ، وأيضاً سبق ذكر بعض الآيات التي جاء فيها ذكر الإسلام مفرداً ، فهذه حالات ثلاث ؛

- إذا ذُكر الإسلام والإيمان معاً يفسر الإسلام بالأعمال الظاهرة ، ويفسر الإيمان بالعقائد الباطنة ، والمعيار عندنا حديث جبريل في التفسيرين
- الحالة الثانية ذِكر الإيمان مفرداً ؛ الإيمان إذا ذكر مفرداً شمل الكل ، شمل العقائد التي في القلوب وشمل الأعمال التي بالجوارح
- الحالة الثالثة ذكر الإسلام مفرداً ، والإسلام إذا ذُكر مفرداً أيضاً يتناول الجميع ، يتناول العقائد التي تكون في القلوب ويتناول الأعمال التي تكون بالجوارح .

قال : [وأول الأمور التي فُسر بها الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهاتان الشهادتان متلازمتان ، وهما لازمتان لكل إنسيّ وجنيّ ، من حين بعثته إلى قيام الساعة ، فمن لم يؤمن به صلى الله عليه وسلم كان من أصحاب النار لقوله صلى الله عليه وسلم « والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار »رواه مسلم].

الشرح..

أول ما فسر به الرسول صلى الله عليه وسلم الإسلام الشهادتان قال: " أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله " فهذا أول شيء فسر به النبيّ صلى الله عليه وسلم الإسلام وسيأتي معنا نظير هذا حديث عمر الآتي " بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله ....." .

وأول ما يحصل به الإسلام من العبد الشهادتان ، فلا يكون مسلماً إلا بهما ، وأول ما يدخل به العبد هذا الدين ؛ فالشهادتان أول الأمر وآخره كما قال عليه الصلاة والسلام " من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة " ، وهما كلمتان متلازمتان لا تنفك إحداهما عن الأخرى ، ولا تقبل إحداهما إلا بالأخرى ، فشاهدة أن محمداً رسول الله قرين لشهادة أن لا إله إلا الله لا تنفك عنها بل لا تقبل لا إله إلا الله إلا بها ؛ ولهذا فإن الشهادتين متلازمتان لا تنفك عنها ولا تقبل شهادة أن لا إله إلا الله إلا إذا ضُم إليها شهادة أن محمد رسول الله ، ولو قدِّر أن شخصاً شهد أن لا إله إلا الله وأعلن التوحيد لكنه لم يشهد بأن محمداً رسول الله عليه الصلاة والسلام ، بَلغَتْهُ بعثتُه ولم يؤمن به ، قال أنا أبقى موحداً لا أشرك بالله ولا أعبد مع الله غيره ولكني لا أُؤْمِنُ بهذا النبي ولا أقبل الإيمان به ولا أنطق بالشهادة بأنه رسول الله ؛ فمثل هذا لا يَقبل منه الله سبحانه وتعالى شهادة أن لا إله إلا الله ؛ فقد قال عليه الصلاة والسلام « والذي نفسُ محمدٍ بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولا يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان حقاً على الله أن يدخله النار » ؛ فشهادة أن محمداً رسول الله قرين لشهادة أن لا إله إلا الله ، ولهذا محبته من محبة الله وطاعته من طاعة الله وتصديقه من تصديق الله ومعصيته من معصية الله ، وهو رسول الله عليه الصلاة والسلام مُبَلِّغ عن الله شرعه ودينه ، فمن لم يؤمن به عليه الصلاة والسلام ليس مؤمناً بالله ؛ لأن الكفر به كفر بمرسله صلوات الله وسلامه عليه .

قال : [وشهادة أن لا إله إلا الله معناها لا معبود حقٌ إلا الله ، وكلمة الإخلاص تشتمل على ركنين: نفي عام في أولها وإثبات خاص في آخرها ؛ ففي أولها نفي العبادة عن كل من سوى الله ، وفي آخرها إثبات العبادة لله وحده لا شريك له وخبر لا النافية للجنس تقديره حق ، ولا يصلح أن يُقدَّر موجود لأن الآلهة الباطلة موجودة وكثيرة وإنما المنفي الألوهية الحقة فإنها منتفية عن كل ما سوى الله وثابتة لله وحده] .

الشرح..

هنا بيان لمعنى شهادة أن لا إله إلا الله ، و" لا إله إلا الله " لا تقبل من قائلها إلا إذا عرف معناها قال تعالى ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالحَقِّ وَ هُم يَعْلَمُون ﴾ قال غير واحد من المفسرين: إلا من شهد بلا إله إلا الله وهم يعلمون معنى ما شهدوا به ، الحق لا إله إلا الله وهي أعظم الحق ؛ قال تعالى ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الحَقّ ﴾ وقال ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الحقّ ﴾ فـ"لا إله إلا الله " هي كلمة الحق ، فلا تقبل من قائلها إلا إذا عقل معناها وعرف مدلولها ، وقال تعالى ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّآ الله ﴾ ، وفي صحيح مسلم من حديث عثمان رضي الله عنه أن النبي عليه الصلاة والسلام قال « من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله » ؛ فاشترط عليه الصلاة والسلام العلم ؛ ولهذا من شروط قبول " لا إله إلا الله " من قائلها أن يكون عالماً بمعناها نفياً وإثباتاً المنافي للجهل ؛ لأن " لا إله إلا الله " قائمة على ركنين ، فلا يكون من أهلها من قالها إلا إذا عرف معناها وعقل مدلولها ، وهي كلمة قائمة على ركنين: النفي والإثبات ، والتوحيد الذي خُلق الخلقُ لأجله وأُوجدوا لتحقيقه لا يمكن أن يحصل من العبد إلا بالنفي والإثبات ، بدون نفي وإثبات لا يكون توحيد ، التوحيد الذي هو الإخلاص لله جل وعلا لا يكون إلا بالنفي والإثبات ، التوحيد هو مدلول لا إله إلا الله ؛ و" لا إله إلا الله " قائمة على ركنين : نفي عام في أولها وإثبات خاص في آخرها ؛ أولها نفي عام " لا إله " ، والإله في اللغة المعبود ، فقوله " لا إله " : هذا نفي للعبودية عن كل من سوى الله أيًّا كان ، لا بد من هذا النفي ليكون العبد موحداً ، ينفي العبودية بكل معانيها عن كل أحد كائناً من كان ، ينفيها عن الملائكة ينفيها عن الأولياء ينفيها عن الجبال والأشجار.. إلى غير ذلك ، نفي عام عن كل ما سوى الله ثم إثبات خاص في آخرها " إلا الله " إثبات العبودية بكل معانيها لله وحده .

فلا يكون المرء موحدًا من أهل لا إله إلا الله إلا بالنفي والإثبات ؛ بالنفي وحده لا يكون موحدًا وبالإثبات وحده لا يكون موحدًا بل لا يكون موحدًا إلّا بالنفي والإثبات فهما ركنا التوحيد فلا توحيد إلا بهما ..

" تشتمل على ركنين: نفي عام في أولها وإثبات خاص في آخرها "

ولو أن شخصاً نفى ولم يثبت . قال " لا إله " وسكت لم يثبت . يكون ملحداً ؛ لأن الملاحدة شعارهم لا إله والحياة مادة .

وإذا أثبت ولم ينفِ ؟ ، فلو أن شخصاً قال : أنا أُقر بأن الله معبود وأعبده ، أصلي وأحج وأتصدق لكن لا أنفي العبودية عن سوى الله ماذا يكون ؟ يكون مشركاً

فمن نفى ولم يثبت فهو ملحد ومن أثبت ولم ينفِ فهو مشرك ، ولا يكون موحداً إلا بالنفي والإثبات .

ولهذا التوحيد الذي هو حق الله جل وعلا على العبيد لابد فيه من النفي والإثبات ، النفي العام " لا إله " نفي للعبودية عن كل ما سوى الله ، " إلا الله " : إثبات للعبودية بكل معانيها لله وحده ؛ ولهذا الّذي يقول لا إله إلا الله وهو يعرف معناها لا يسأل إلا الله ، ولا يستغيث إلا بالله ، ولا يدعو إلا الله ، ولا يذبح إلا لله، ولا ينذر إلا لله ، هذا هو معنى لا إله إلا الله ، ولهذا المشركون لما قال لهم النبي عليه الصلاة والسلام قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ماذا قالوا؟ ﴿ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيءٌ عُجَاب ﴾ ؛ عرف القوم أن " لا إله إلا الله " تنفي العبودية عن جميع الآلهة التي يعبدون وتثبت العبادة لله وحده دون شريك ، ولهذا قالوا متعجبين ﴿ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَاهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيءٌ عُجَاب۞ وَانطَلَقَ المَلَأُ مِنْهُم أَنِ امْشُوا وَ اصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُم إِنَّ هذَ لَشَيءٌ يُرَاد ﴾ وفي الآية الأخرى ﴿ إِنَّهُم كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُم لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يسْتَكْبِرُونَ ۞ وَيَقُولُونَ أَءِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُون ﴾ لتاركوا ءالهتنا : لأن " لا إله إلا الله " تعني ترك الآلهة ونبذ الأصنام ، ونبذ عبادة أي أحد غير الله سبحانه وتعالى . فهذا معنى" لا إله إلا الله "، ولا يكون العبد موحداً إلا إذا نطق بلا إله إلا الله وقد عقل معناها وعرف مدلولها

" لا " .. في كلمة التوحيد : نافية للجنس ، ولها مبتدأ وخبر .

" إله " .. هو المبتدأ ، وخبرها محذوف مُقدَّر " لا إله " ثمّة محذوف مقدَّر ؛

ما هذا المحذوف المقَدَّر ؟ ..

" لا إله إلا الله " .. أرأيتم لو قال قائل المقدَّر المحذوف هو كلمة " موجود " ، أيصح ذلك ؟ بحيث يكون المعنى : – لا إله موجودٌ إلا الله – ؟

الآلهة الموجودة المعبودة بالباطل كثيرة أم قليلة ؟ .. كثيرة

فإذا كان هذا المعنى : " لا إله موجود إلا الله " ؛ يكون معنى هذه الكلمة : كل إلهٍ موجود هو الله – سواء عُبد بحق أو عُبد بباطل « ولا يُعبد بحق إلا الله » – هو الله ؛ وهذا معنى فاسد باطل وهو نقيض كلمة التوحيد " لا إله إلا الله " ، فلا يجوز أن يُقدَّر المحذوف بموجود ، بل لا يجوز أن يُقدَّر إلا بكلمة حق " لا إله حقٌ إلا الله " المحذوف لا يجوز أن يقدر إلا بحق ، ودليلها القرآن ؛ قال الله عز وجل ﴿ ذلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ وَ أَنَّهُ يُحْيِي الموتَى ﴾ ﴿ ذلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ وَ

أَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ البَاطِلِ ﴾ ، ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الحَقّ ﴾ ، في تلبية بعض الصحابة : " لبيك إله الحق " فلا يُقدَّر إلا بهذه الكلمة فـ " لا إله إلا الله " معناها " لا معبود حقٌ إلا الله "

وإن شئت أن تفسر " لا إله إلا الله " بالقرآن .. فعندك في القرآن آيات كثيرة جداً تفسر لك " لا إله إلا الله " ، فلو قال لك قائل : ما معنى " لا إله إلا الله " ؟ قل معناها : ﴿ اعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ ؛ لأن " اعبدوا الله " إثبات ، " لا تشركوا به شيئاً " نفي.

أو قلت : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّين ﴾ ، أو ﴿ وَقَضى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاه ﴾؛ أو قلت ﴿ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۞ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ ، نفي وإثبات ؛ فهذه كلها آيات تفسر "لا إله إلا الله" وتبين معناها .

وعليه فإنه من يشهد أن لا إله إلا الله وأنه لا معبود حق إلا الله عليه أن يعرف العبادة ماهي حتى لا يصرف شيئاً منها إلا لله المعبودِ بحق سبحانه وتعالى .

قال : [ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله أن يُحَبَّ فوق محبة كل محبوب من الخلق وأن يُطاع في كل ما يأمر به ، وينتهي في كل ما نهى عنه ، وأن تُصدق أخبارُه كلُّها سواءً كانت ماضية أم مستقبلة أو موجودة وهي غير مشاهدة ولا معاينة ، وأن يُعبد الله طبقاً لما جاء به من الحق والهدى] .

الشرح..

هذا معنى شهادة أن محمداً رسول الله ، وهذه الشهادة العظيمة معناها يتناول أموراً عديدة :

الأمر الأول : أن يُحب عليه الصلاة والسلام محبة مقدمة على النفس والنفيس والمال والأهل والولد والتجارة ؛ كما قال الله سبحانه وتعالى ﴿ قُل إِن كَانَ آبَاؤُكُم وَأَبْنَاؤُكُم وَإِخْوَانُكُم وَأَزْوَاجُكُم وَعَشِيرَتُكُم وَأَمْوالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَونَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيكُم مِنَ اللهِ وَ رَسُولِه ﴾ ؛ فمحبتُه عليه الصلاة والسلام مقدمة على محبة النفس والأهل والولد والتجارة والبيت والعشيرة وغير ذلك ، وفي الحديث قال عليه الصلاة والسلام « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين » ، وفي صحيح البخاري يقول « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من نفسه » ، فإذاً من مقتضيات شهادة أن محمداً رسول الله أن يُحب عليه الصلاة والسلام محبة مقدمة على محبة النفس والولد والأهل والتجارة والناس أجمعين ؛ وذلك لأنه عليه الصلاة والسلام أولى بك منك كما قال جل وعلا ﴿ النَّبِيُّ

أَولَى بِالمؤمِنِينَ مِن أَنفُسِهِم ﴾ ، وأَحرص منك على نفسك منك ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيهِ مَا عَنِتُّم حَرِيصٌ عَلَيكُم بِالمؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيم ﴾ . وبواسطته عليه الصلاة والسلام عرفت دين الله ، ودعاك ودلَّك إلى صراط مستقيم ، فهو عليه الصلاة والسلام رسول الله البشير النذير الداعي إلى الله بإذنه والسراج المنير صلوات الله وسلامه عليه ، فوجب على كل من شهد أنه رسول الله أن يُقدم محبته عليه الصلاة والسلام على محبته لنفسه ومحبته لماله ومحبته لولده وأهله ولعشيرته وغير ذلك ، ولا يكفي في هذه المحبة مجرد الادِّعاء لأن الادعاء أمر يسير على كل إنسان لكن العبرة ليست بالدعاوى ؛ قال الله تعالى ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ الله وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُم ﴾، فلا يكفي مجرد الادعاء وإلا لو كان مجرد الادعاء فإخوان القردة والخنازير قالو كما ذكر الله عنهم ﴿ نَحْنُ أَبْنَاؤُا اللهِ وَأَحِبَّاؤُه ﴾ ، الادعاء أمره سهل ويسير على الألسن و لا يكفي فلا بد من عمل يدل على صدق المحبة وهو الإتباع للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، هذا الأمر الأول من مقتضيات شهادة أن محمداً رسول الله .

الأمر الثاني : أن يطاع في كل ما يأمر به ؛ كما قال الله سبحانه وتعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ الله ﴾. وقد قرن الله جل وعلا طاعته بطاعته سبحانه وتعالى في آيات كثيرة من القرآن، وأخبر أن طاعته من طاعة الله﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ الله ﴾ فإذًا من مقتضيات شهادة أنه رسول الله أن يطاع في كل ما يأمر به.

الأمر الثالث : أن يُنتهى عن كل ما نهى عنه ، نهى عليه الصلاة والسلام عن أمور كثيرة أخطرها الشرك ، نهى عن القتل ، عن السرقة وعن الزنى وعن الكذب وعن الغش وغير ذلك ؛ فمن مقتضيات أنه رسول الله أن يُنتهى عن كل ما نهى عنه صلوات الله وسلامه عليه .

الأمر الرابع : تصديقه في كل ما يخبر به ، وهو عليه الصلاة والسلام أخبر عن أمور ماضية وأخبر عن أمور مستقبلة وأخبر عن أمور موجودة مشاهدة وغير مشاهدة ؛ فيجب على من شهد أنه رسول الله أن يصدِّقه في كل أخباره بدون تردد.

الأمر الخامس : أن يُعبد الله طبقاً لما جاء به من الحق والهدى ؛ لأن الله سبحانه وتعالى لا يقبل من العبادة إلا ما كان موافقاً لما جاء به عليه الصلاة والسلام ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام :« من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ » ؛ أي مردود على صاحبه غير مقبول منه

قال : [وإخلاص العمل لله واتباع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم هما مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فكل عمل يتقرب به إلى الله لا بد أن يكون خالصاً لله ومطابقاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا فقد الإخلاص لم يقبل العمل لقول الله عز وجل ﴿ وَ قَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِن عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنثُورًا ﴾ وقوله تعالى في الحديث القدسي: « أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه » رواه مسلم

وإذا فقد الإتباع رُدَّ العمل لقوله صلى الله عليه وسلم « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » رواه البخاري ومسلم ، وفي لفظ لمسلم « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ » ، وهذه الجملة أعم من الأولى لأنها تشتمل من فعل البدعة وهو محدث لها ومن فعلها متابعاً لغيره فيها ، وستأتي الإشارة إلى شيء مما يتعلق بالصلاة والزكاة والصيام والحج في حديث ابن عمر رضي الله عنهما "بني الإسلام على خمس " وهو الحديث الذي يلي هذا الحديث] .

الشرح..

الجمع بين الشهادتين ـ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ـ فيهما الجمع بين شرطي قبول العمل ؛ لأن العمل أيًّا كان ـ من صلاة أو صيام أو صدقة أو حج أو غير ذلك ـ ؛ لا يقبله الله إلا بشرطين .. الأول : الإخلاص للمعبود ، والثاني : المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم ، فإذا فقد العمل أحد هذين الشرطين أو فَقَدَهُما معاً لم يقبله الله ، فالله سبحانه وتعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه مطابقًا لسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

والدليل على أن العمل إذا لم يكن على الإخلاص لم يقبل قول الله جل وعلا في الحديث القدسي « أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه » ، والدليل على أن العمل إذا فقد المتابعة لم يقبل قوله صلى الله عليه وسلم : « من عمل ليس عليه أمرنا فهو رد »، أي مردود على صاحبه غير مقبول منه فالأعمال لا تُقبل عند الله إلا إذا أخلص فيها العامل لله وتابع فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وإذا قيل ما أقسام الناس من حيث الإخلاص والمتابعة ؟ الناس في هذا الباب ينقسمون إلى أربعة أقسام :

القسم الأول: أهل الإخلاص والمتابعة ، وهم وحدهم الذين يقبل الله سبحانه وتعالى عملهم – لأن الله لا يقبل العمل إلا إذا اجتمع فيه الأمران – .

القسم الثاني: من عنده إخلاص ، مخلص لله لا يبتغي بعمله إلا وجه الله لكنَّ عمله يفتقد

المتابعة ، مخلص لكنه مبتدع ويعبد الله بالبدع ، يعبد الله بأمور محدَثة لم تأتِ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فهل مثل هذا يقبل الله عمله لكونه مخلصاً ؟ الجواب : لا ؛ لماذا ..لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال: " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد " ، فـ اشترط لقبول العمل أن يكون موافقًا لعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

القسم الثالث : من عنده متابعة – يعمل العمل موافق للسُنَّة – لكنه في قلبه ليس مخلصاً لله ؛ فهو يأتي العمل إما رياءً أو سمعةً أو شهرةً ؛ فهذا أيضاً لا يقبل الله منه عمله – لأن الله لا يقبل العمل إلا إذا كان خالصًا وموافقًا للسنة –.

القسم الرابع : من لا إخلاص عنده ولا متابعة – ليس مخلصًا لله ولا متبع لرسول الله –.

• وهذه الأقسام كلها مردودة إلا القسم الأول وهو من كان عمله مخلصاً لله موافقاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولهذا وجب على كل مسلم عاقل بأن ينتبه لهذا الأمر وأن يجاهد نفسه دائماً وأبداً بأن تكون أعماله لله خالصة ولسنة النبي عليه الصلاة والسلام موافقة ؛ وهذا هو معنى قوله تعالى ﴿ لِيَبْلُوَكُم أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ ، وفي الدعاء الذي علمه النبي عليه الصلاة والسلام لمعاذ ؛ قال : « أن تقول دبر كل صلاة اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » ،

العبادة لا تتصف بالحسن إلا إذا كانت لله خالصة ولسنة النبي عليه الصلاة والسلام موافقة ؛ لأنها إن لم تكن لله خالصة لا تكن حسنة لأنها شرك ، وإذا لم تكن للسنة موافقة لا تكن حسنة لأنها بدعة وكل بدعة ضلالة .

فلا تكون العبادة مرضيَّة عند الله ولا تكون حسنة إلا إذا قامت على الإخلاص والمتابعة ، ولهذا قال الفضيل بن عياض رحمه الله في قوله تعالى ﴿ لِيَبْلُوَكُم أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ ؛ قال أخلصه وأصوبه ، قيل يا أبا علي : وما أخلصه وأصوبه ؟ قال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل وإذا كان صوابا ولم يكن خالصاً لم يقبل ، والخالص ما كان لله ، والصواب ما كان على السنة .

ومن الدعاء المأثور عن بعض الصحابة : " اللهم اجعل عملي لوجهك خالصاً ولسنة نبيك صلى الله عليه وسلم موافقاً ولا تجعل لأحد فيه شيئاً " .

[سادساً : قوله " قال: صدقت فعجبنا له يسأله ويصدقه " ، وجه التعجب أن الغالب على

السائل كونه غير عالم بالجواب فهو يسأل ليصل إلى الجواب ، ومثله لا يقول للمسؤول إذا أجابه صدقت ؛ لأن السائل إذا صدّق المسؤول دلّ على أن عنده جواباً من قبل ، ولهذا تعجب الصحابة من هذا التصديق من هذا السائل الغريب .

سابعاً : قوله " قال: فأخبرني عن الإيمان قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره " : هذا الجواب مشتمل على أركان الإسلام الستة ، وأول هذه الأركان الإيمان بالله ؛ ولهذا أضيف إليه الإيمان بالملائكة والكتب والرسل ، ومن لا يؤمن بالله لا يؤمن ببقية الأركان ، والإيمان بالله يشمل الإيمان بوجوده وربوبيته وألوهيته وأسماءه وصفاته ، وأنه سبحانه وتعالى متصف بكل كمال يليق به ، منزَّه عن كل نقص ، فيجب توحيده بربوبيته وألوهيته وأسماءه وصفاته ، وتوحيده بربوبيته الإقرار بأنه واحد في أفعاله لا شريك له فيها كالخلق والرزق والإحياء والإماتة وتدبير الأمور والتصرف في الكون وغير ذلك مما يتعلق بربوبيته .

وتوحيد الألوهية توحيدهُ بأفعال العباد كالدعاء والخوف والرجاء والتوكل والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والذبح والنذر وغيرها من أنواع العبادة التي يجب إفراده بها فلا يصرف منها شيءٌ لغيره ولو كان ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلاً فضلاً عما سواهما .

وأما توحيد الأسماء والصفات فهو إثبات كل ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات على وجه يليق بكماله وجلاله دون تكييف أو تمثيل ، ودون تحريف أو تأويل أو تعطيل ، وتنزيهه عن كل ما لا يليق به عز وجل ﴿ لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ ، فجمع في الآية بين الإثبات والتنزيه ؛ فالإثبات في قوله ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ والتنزيه في قوله﴿ لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ فله سبحانه وتعالى سمع لا كالأسماع وبصر لا كالأبصار، وهكذا يقال في كل ما ثبت لله من الأسماء والصفات]

الشرح..

قول النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث " الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره " : ذكر هنا صلوات الله وسلامه عليه أصول الإيمان وأركانه التي عليها قيام الدين ، والدين له أصول لا يقوم إلا عليها وله أركان لا ينبني إلا عليها ؛ فإذا كفر عبدٌ بشيء من هذه الأركان حبط عمله وكان في الآخرة من الخاسرين ، كما قال تعالى ﴿ وَمَن يَّكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ

حَبِطَ عَمَلُه ﴾ وقال تعالى ﴿ وَمَن يَّكْفُرْ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَومِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ ؛ فهذه الأصول للإيمان بمثابة الأصول للأشجار و بمثابة القواعد للبنيان ؛ فكما أن الأشجار لا تقوم إلا على أصولها والبنيان لا تقوم إلا على عمادها فكذلك الإيمان والدين لا يقوم إلا على أركانه ، والله سبحانه وتعالى ضرب لنا مثلاً في القرآن يبين ذلك في سورة إبراهيم ؛ قال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء ﴾ ؛ فهذا مثل الإيمان ؛ مثَّل الإيمان بالشجرة الطيبة ، والمراد بالشجرة هنا النخلة كما فسره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في السنة الصحيحة ، والنخلة شجرة معروفة لها أصل ثابت قوي متمكن في الأرض ، ولها فرع ، وكما أن النخلة إذا قُطعت من أصلها ماتت فالإيمان إذا فقد أصله مات وانتهى ، فلا يقوم إيمان ولا يقوم دين إلا على هذه الأركان ؛ وهي أركان ستة ومكانها القلب – الإيمان بالله والملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر خيره وشره –

فهذه أصول للإيمان وقواعد يقوم عليها الدين إذا فقد شيء منها لم يقبل ولم يُنتفع بطاعة .

وأعظم هذه الأركان وأجلها هو الإيمان بالله ، وهو أصل أصول الإيمان ، وبقية أصول الإيمان تبع له ومتفرعة منه وراجعة إليه ؛

ولهذا تجد في الآيات ترجع هذه الأصول إلى هذا الأصل العظيم مثل قوله تعالى ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِما أُنزِلَ إِلَيهِ مِن رَّبِّهِ وَالمؤْمِنُون كُلٌ آمَنَ بِالله ﴾ هذا أصل الأصول ثم البقية ترجع إلى هذا الأصل ﴿ كُلٌ آمَنَ بِالله وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِه ﴾؛ فالإيمان بالله أصل أصول الإيمان وأعظم أركانه .

والإيمان بالله هو: الإيمان بوحدانية الله سبحانه في ربوبيته وألوهيته وأسماءه وصفاته ولهذا قال العلماء : الإيمان بالله يقوم على أركان ثلاثة :

الركن الأول: الإيمان بوحدانية الله في ربوبيته ؛ هو الإيمان بأنه سبحانه وتعالى هو الملك لا شريك له في الملك الخالق الرازق المدبر المتصرف ، والإيمان بجميع أفعاله سبحانه .

الركن الثاني: الإيمان بوحدانية الله في ألوهيته ؛ بالإقرار بأنه المعبود بحق ، ولا معبود بحق سواه ، وبأن يفرد وحده سبحانه وتعالى بالعبادة ، وبأن لا يُجعل له شريك في شيء منها ، كما قال جل وعلا ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّين ﴾ ، وكما قال جل وعلا ﴿ أَلَا لِلهِ الدِّينُ الخَالِص ﴾.

الركن الثالث : الإيمان بوحدانية الله في أسماءه وصفاته ؛ وذلك بالإيمان والإقرار بأسماء الله

وصفاته الثابتة في كتابه وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ، إثبات بلا تمثيل ، وتنزيه بلا تعطيل على حد قوله تعالى ﴿ لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِير ﴾ .

قال : [والإيمان بالملائكة الإيمان بأنهم خلقٌ من خلقِ الله ، خلقوا من نور – كما في صحيح مسلم– أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: « خلقت الملائكة من نور وخلق الجانّ من مارج من نار وخلق آدم مما وُصف لكم » ، وهم ذوو أجنحة كما في الآية الأولى من سورة فاطر ، وجبريل له ستمائة جناح كما ثبت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم قريباً ، وهم خلق كثير لا يعلم عددهم إلا الله عز وجل ويدل لذلك أن البيت المعمور وهو في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه . رواه البخاري ومسلم وروى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها » . والملائكة منهم الموكلون بالوحي ، والموكلون بالقطر ، والموكلون بالموت ، والموكلون بالأرحام ، والموكلون بالجنة ، والموكلون بالنار ، والموكلون بغير ذلك ؛ كلهم مستسلمون منقادون لأمر الله لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وقد سُمِّيَ منهم في الكتاب والسنة جبريل وميكائيل وإسرافيل ومالك ومنكر ونكير ، والواجب الإيمان بمن سُمِّيَ منهم ومن لم يسمَّ ، والواجب أيضاً الإيمان والتصديق بكل ما جاء في الكتاب العزيز وصحت به السنة من أخبار عن الملائكة] .

الشرح..

هذا الركن الثاني من أركان الإيمان وهو الإيمان بالملائكة، والملائكة خلق لله عز وجل لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُو ﴾ ،﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَّا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ ؛ وكم للتكثير، فالملائكة خلق لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم وقد دلت النصوص على الكثرة الكاثرة لعدد الملائكة ، والنبي عليه الصلاة والسلام ذَكر كما في الصحيحين أنه رُفع إليه البيت المعمور فقيل ما هذا قيل هذا البيت المعمور يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون ، وعدد من يدخل البيت المعمور من الملائكة يومياً سبعون ألف ؛ هذا يدل على أن الملائكة عددهم عدد كثير لا يحصيه إلا الله. وجاء في الحديث أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: « أطَّت السماء وحق لها أن تئِط ما فيها موضع شبر

إلا وفيه ملك ساجد لله » فالملائكة خلق لله وعددهم كثير ولا يعلم عددهم إلا الله . وقيل سُموا ملائكة من الألوكة وهي الرسالة؛ ألَكَنِي : أي أرسلني ؛ وهذا يدل عليه قول الله تعالى ﴿ جَاعِلِ المَلَائِكَةِ رُسُلًا ﴾ ؛ فالملائكة رسل الله عز وجل .

وهم مطيعون لله ﴿ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُون ﴾؛ ولهذا لا يوجد في الملائكة عاصٍ ، ولا يوجد في الملائكة عصيان ، كلهم على الطاعة الدائمة المستمرة لله تبارك وتعالى جبلوا على ذلك جبلهم الله على طاعته وعلى القيام بكل ما يأمرهم به سبحانه وتعالى .

والإيمان بالملائكة هو الإيمان بكل ما جاء في الكتاب والسنة مما يتعلق بالملائكة من ذكرٍ لأسمائهم أو أعدادهم أو أوصافهم أو وظائفهم إجمالاً فيما أُجمل وتفصيلاً فيما فُصِّل ؛ هذا الذي يجب علينا أن نؤمن به تجاه الملائكة أربعة أشياء – يعني كل ما ينبغي أن نؤمن به تجاه الملائكة يرجع لهذه الأمور– (الأسماء والأعداد والأوصاف والوظائف) إجمالاً فيما أُجمل وتفصيلاً فيما فُصِّل .

ونحن نعلم أن ما يتعلق بالملائكة من أسماء أو أعداد أو أوصاف أو وظائف لم تُفصَّل كلها في القرآن والسنة ، وإنما ذُكر على وجه التفصيل منها قدراً كبيراً ، وبقية أمور الملائكة من أعداد أو أوصاف أو غير ذلك أُجملت .

إذاً ما أُجمل من أسماء الملائكة نؤمن به مجملاً كما جاء ، وما فُصِّل من أسماءهم نؤمن به مفصلاً كما جاء ؛ فعلى سبيل المثال: جاء في التفصيل من أسماء الملائكة جبرائيل وإسرافيل وميكائيل ومالك ﴿ وَقَالُوا يَا مَالِك ﴾ ومنكر ونكير؛ فهذه الأسماء جاءت مفصلة نؤمن بها ؛ فنقول من الملائكة ملكٌ اسمه جبريل وآخر اسمه ميكائيل .. ، ولا نذكر اسماً إلا عليه دليل من كتاب الله أو السنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أعداد الملائكة إجمالاً لا يحصيه إلا الله ، وجاءت تفاصيل تتعلق ببعض الأعداد المتعلقة بالملائكة فنؤمن بهذه التفاصيل ، ومن ذلكم الحديث الذي مرَّ في صحيح مسلم « يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام » الزمام معروف وهو الخطام الذي يُجر به الدابة أو يُجر به الشيء « ومع كل زمام سبعون ألف ملك يجرُّونها » ولهذا عدد الملائكة الذين يجرون جهنم –أجارنا الله جميعاً منها – إلى أرض المحشر يوم القيامة سبعون ألف في سبعين ألف .

و الملائكة أيضاً لهم مهام كثيرة ، وعدد من المهام تجدها مناطة بأعداد ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ

فَوقَهُم يَومَئِذٍ ثَمَانِيَة ﴾ ، ﴿ عَلَيهَا تِسْعَةَ عَشَر ﴾ وهكذا ؛ تجد أعداد تفصيلية معينة ، فكل عدد تفصيلي جاء في القرآن أو جاء في السنة نؤمن به كما جاء .

أيضاً أوصاف الملائكة إجمالاً نقول أن الملائكة خُلقت من نور ، وهم خلقٌ عظيم لا يعلم عظم خلق الملائكة إلا الله سبحانه وتعالى ، وتفصيلاً نؤمن بالأوصاف التفصيلية التي جاءت لأفراد من الملائكة ؛ مثل ما جاء في الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام رأى جبريل وله ستمائة جناح فنؤمن بذلك ؛ – نؤمن أن جبريل بصورته الحقيقية له ستمائة جناح– ، الله سبحانه وتعالى يقول ﴿ جَاعِلِ المَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاع يَزِيدُ فِي الخَلْقِ مَا يَشَاء ﴾ ؛ فنؤمن بذلك ، وجاء أيضاً في الحديث الصحيح أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: « أُذن لي أن أحدثكم عن أحد الملائكة وهو من حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه تخفق فيه الطير سبعمائة سنة » – أي أنه لو طار طير من عاتق الملك متجهًا إلى شحمة أذنه يحتاج إلى سبعمائة سنة حتى يصل إلى شحمة أذنه – فنُؤمن بذلك ؛ فهذا وصف تفصيلي صحت به السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فنؤمن به .

أيضاً وظائف الملائكة ؛ إجمالاً نؤمن أن الملائكة جند لله ﴿ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُون ﴾ ، وتفصيلاً نؤمن بكل الوظائف التي وُكل الملائكة بها ؛ منهم الموكول بالوحي ، ومنهم الموكول بالقطر ، ومنهم الموكول بالموت ، ومنهم الموكول بالأرحام ، وبالجنة وبالنار ، وبغير ذلك ؛ فهذه التفاصيل في الوظائف للملائكة نؤمن بها مفصلة كما جاءت في كتاب ربنا وسنة نبينا صلوات الله وسلامه عليه .

قال: [والإيمان بالكتب : التصديق والإقرار بكل كتاب أنزله الله على رسولٍ من رسله ، واعتقاد أنها حق ، وأنها منزَّلة غير مخلوقة وأنها مشتملة على ما فيه سعادة من أُنزلت إليهم ، وأن من أخذ بها سلم وظفر ، ومن أعرض عنها خاب وخسر ، ومن هذه الكتب ما سميَ في القرآن ، ومنها من لم يسمّ ، والذي سميَ منها في القرآن التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى ، وقد جاء ذكر صحف إبراهيم وموسى في موضعين من القرآن في سورتي النجم والأعلى ، وزبور داوود جاء في القرآن في موضعين ، في النساء والإسراء ؛ قال الله عز وجل فيهما ﴿ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾ ، وأما التوراة والإنجيل فقد جاء ذكرها في كثير من سور القرآن وأكثرهما ذكراً التوراة ؛ فلم يُذكر في القرآن رسولٌ مثلما ذُكر موسى ، ولم يُذكر فيه كتاب مثلما ذُكر كتاب موسى ، ويأتي ذكره بلفظ التوراة والكتاب والفرقان والضياء والذِكر

، ومما يمتاز به القرآن على غيره من الكتب السابقة كونه المعجزة الخالدة ، وتكفل الله بحفظه ، وسلامته من التحريف ، ونزوله منجماً مفرقاً] .

الشرح..

هنا الأصل الثالث من أصول الإيمان : هو الإيمان بالكتب المنزلة كما قال الله سبحانه وتعالى ﴿ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللهُ مِن كِتاب ﴾ أي بكل كتاب أنزله الله على أي رسول ، وقال الله جل وعلا ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالبَيِّنَاتِ وَأَنزَلنَا مَعَهُم الكِتَاب ﴾ ، وقال ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَ الكِتابِ الَّذي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالكِتَابِ الَّذي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَومِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ ، فالإيمان بالكتب المنزَّلة أصلٌ من أصول الإيمان، والإيمان بها هو اعتقاد أنها كلام الله ، وأنها وحيه جل وعلا وتنزيله ، وأنها مشتملة على بيان الحق وهداية الخلق ، وأن من آمن بها فاز وسعد ، وأن من لا يؤمن بها خاب وخسر، وأن رسل الله جل وعلا بلغوا كتب الله وافية تامة كما أمرهم الله سبحانه وتعالى ، ومن الإيمان بالكتب ؛ الإيمان تفصيلاً بما سمي منها ؛ ولم يسمَّ منها إلا التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى والقرآن ، فما سمي منها نؤمن به تفصيلًا كما جاء ومالم يسمَّ منها نؤمن به إجمالًا ونؤمن بأن الكتب المنزلة خُتمت بالقرآن ، فكما أن الرسول عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين وبرسالته خُتمت الرسالات ؛ فكتابه ختام الكتب المنزَّلة ، فلا كتاب بعد القرآن الكريم لأن الكتب المنزَّلة ختمت بالقرآن المنزَّل على رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .

والقرآن يمتاز عن الكتب السابقة بمميزات :

- منها كونه المعجزة الخالدة .
- وأن الله تكفَّل بحفظه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون ﴾ ، أما الكتب السابقة فقد وُكل حفظها إلى الأقوام الذين أنزلت إليهم ﴿ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ الله ﴾
- وسلامته من التحريف .
- ونزوله منجماً مفرقاً .

والواجب على أمة محمد عليه الصلاة والسلام أمةِ القرآنِ أن يعتنوا بكتابهم القرآن ، وأن يتلوه حق تلاوته ، وأن لا يتخذوا القرآن مهجوراً ، وأن يعملوا بالقرآن ، وأن يحكموه بينهم ، وأن يرجعوا إليه في تنازعهم ، وأن يأتمروا بأوامره ، وأن ينتهوا عن نواهيه ، وأن يصدقوا بأخباره ، وأن يؤمنوا به كتاباً منزلاً من رب العالمين ، مشتملاً على هداية الخلق ﴿ إِنَّ هَذَا القُرْآنَ يَهْدِي

لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ المؤمِنِينَ الَّذينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُم أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ .

سبحانك اللهم و بحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ، اللهمّ صلّ وسلّم على عبدك ورسولك نبيّنا محمد و آله وصحبه

..*